المشرق

نبذة مختصرة

في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠–١٨٦٢)

توطئة

سمدنا إ[illegible] في اوائل تشرين الاول [illegible] من السنة المعروف بزمّار كاهنة الارثن الكاثوليك المحترم من . وما [illegible] آخر في [illegible] من المخطوطات العربية اذ وقع نظرنا على كرّاس مجلّد بمقوّى يبلغ طوله نحو ٢٢ سنتمترًا وعرضهُ ١٧ س مكتوبًا بخطّ مُشرق بحبرين اسود في النصوص واحمر في العناوين يبلغ ٦٩ صفحة وعدد سطور الصفحة ٢١ سطرًا عنوانهُ «نبذة مختصرة في فتن سوريا» يحتوي حوادث لبنان وسوريّة من السنة ١٨٤٠ الى السنة ١٨٦٢ كتبهُ شاهدُ عيانٍ من قسوس احدى الطوائف الكاثوليكية لم يذكر اسمهُ ولعلّهُ الخوري يوسف فرحيان الذي كان وقتئذٍ خادم رعية الارثن الكاثوليك في دمشق ونجا من مذابحها بنعمة خصوصية . ثمَّ صار بعد ذلك رئيسًا على بزمّار ثمَّ سُقّف على ديار بكر وفيها توفي نحو سنة ١٨٩٠ . ونبذتهُ هذه التاريخية تحرّى فيها صدق الاخبار واعتدال اللهجة فروى فيها الامور التي جرت في لبنان والشام من السنة ١٨٤٠ الى ١٨٦٢ كما عرفها دون ان يبدي فيها حكمهُ وقلّما تجد فيها كلمةً تصرّح عن امتيازٍ من بعض المظالم التي عاينها . فوجدناهُ خير اثرٍ يُحفظ في بطن الاوراق لئلّا تذهب فائدتهُ بفقدانهِ . وممّا استحسناهُ لهُ روايتهُ للامور واتصالها ببعضها من سوابق ولواحق يأخذ بعضها برقاب البعض . واما لغتهُ فسهلة قريبة من اللغة الدارجة الساذجة تركناها على بساطتها لم نصلح منها إلّا ما لا يُبنى بهِ من رفع اسم او جرّ آخر او علاقة نعت بمنعوت او فاعل بفعول . وان وجد غير ذلك دلّلنا اليهِ بين هلالين فنشكر حضرة رئيس دير بزمّار الذي سمح لنا بنسخ هذا الاثر الجليل لننشره في المشرق . وبين اخبارهِ ما هو اشبه بما حدث في هذه الايام في جبل الدروز وفي دمشق فكأنَّ التاريخ يعيد ذاتهُ

ل . ش

بسم الله

(أ)* نبذة مختصرة في فتن سوريا

وبعد يقول احد قسوس المسيحيين انني لما نظرتهُ بعيني وسمعتهُ من أناس فضلاء باذنيَّ واطلعتُ عليهِ في تحارير صادقة اقتطفتُ هذه النبذة المختصرة في فتن سوريا سالكاً فيها سبيل الصدق والسذاجة متنزهاً عن كل غرض. وألتمسُ فقط حفظ ذكر الامور السالفة وقد جمعتها في مقدَّمة وثلاثين حادثاً. وكان ذلك سنة ١٨٦٠ مسيحيَّة في مقاطعة كسروان

مقدمة

انهُ لكي تُعرف اين صارت الفتن واين اماكن الموقعات يجب ان يتَّضح هنا حدود المقاطعات في سلسلة جبل لبنان وعدد النفوس المذكورة بموجب حساب الجوغرافية: (فنقول) انَّ هذا الجبل يبتدي من مقابل النهر الكبير الجاري تحت قلعة الحصن ودير مار جاورجيوس الحميره في آخر جبل النصيريَّة

انَّ المدن التي في ساحل سلسلة جبل لبنان على شاطئ البحر المحيط هي طرابلس الشام والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور الى قرب عكَّا. هذا من الجانب الشمالي الى الجنوبي. ومن الغربي يبتدئ هذا الجبل من البحر المذكور ويمتدّ شرقاً الى مرج ابن عامر في شرقي عكا. ويقسم الى قسمين شمالي وجنوبي في احدى وعشرين مقاطعة

القسم الاول الشمالي

ــ المقاطعة الاولى الزاوية ــ (٢) انَّ الزاوية هي الى شرقي طرابلس سكانها نصارى ١٧٣١ نفساً ذكوراً بينهم اسلام ٦٠ نفساً ذكوراً فقط

تنبيه: اعلم انَّ عدد المذكور الذين نحن في صددهِ هو مأخوذ من دفتر عدد النفوس سنة ١٨٥٠ فاذاً يكون اكثر الآن مما هو مذكور

ــ المقاطعة الثانية الكورة ــ انَّ الكورة هي الى جنوبي طرابلس. وهذه قسمان: الكورة العليا في الجبل التي من قراها ابيون وكبا الخ. والكورة السفلى على شاطئ البحر من قراها النخله

---

* هذه الاعداد تدل على اعداد صفحات المخطوط

وفيع الخ سكانها ٢٥٠٠ نصارى و٢٢٦ مسلمون

ـــ المقاطعة الثالثة جبّة بشرّه ـــ جبّة بشرّه هي الى جنوبي طرابلس فوق الكورة في الجبل ومن قراها بشرّه وامدن الخ. وفيها دير قنّوبين بطريركية الموارنة ودير قزحيا وارز لبنان. سكانها نصارى فقط عشرة آلاف وماتان ذكور ١٠,٢٠٠

ـــ المقاطعة الرابعة جبّة المنطرة هي في رأس الجبل الى شرقي جبيل ومن قراها ميروبا والماقوره الخ وينسب اليها المواضع التي يسكن فيها من النصارى المذكور ٤٨٥ ومن الاسلام والمتاولة ١٣٩

ـــ المقاطعة الخامسة بلاد جبيل ـــ انّ بلاد جبيل هي فرق مدينة جبيل ومن قراها عام شيت (كذا) والبرباره الخ سكان هاتين المقاطعتين نصارى ٧,٤٧٠ نفساً ذكوراً واسلام ومتاولة ٣,١٩٦

ـــ المقاطعة السادسة بلاد البترون ـــ ان بلاد البترون هي فيما بلي مدينة البترون ومن قراها عزنه (عربه ؟) ودوما الخ (٣) . سكانها نصارى ٦٨٣ والمسلمين والمتاولة ١٨٨ نفساً فقط

ـــ المقاطعة السابعة الفتوح ـــ انّ الفتوح هي الى جنوبي جبيل ومن قراها البوار والغينة الخ. يسكنها نصارى ٢٠٩٩ من الذكور

ـــ المقاطعة الثامنة كسروان ـــ في كسروان يسكنون المشايخ اولاد الخازن واولاد حبيش. ومن قرى كسروان هي الاربعة وربتون وعشقوت وعجلتون وزمار التي فيها كرسي بطريرك الارمن الكاثوليك وغزير وعرمون وغوسطا وجونيه وعين توره (كذا) وزوق ميكائيل وزوق مصبح الخ. سكانها نصارى ١٠,٠٦٦ ومتاولة ١٩ فقط

ـــ المقاطعة التاسعة جبل الفاطع والمتن ـــ انّ هذه المقاطعة هي الى شرقي بيروت ومن قراها عاريا والمبادیه وصليا والشوير وبكفيا وسكنتا (كذا) الخ. وفي دفتر النفوس تنسب اليها زحلة وساحل بيروت الذي هو المقاطعة الثانية. في هذه المقاطعة يوجد اديرة كثيرة للروم الكاثوليك والموارنة ودور الامراء اللمعيين

ـــ المقاطعة العاشرة ساحل بيروت ـــ انّ من قرى هذه المقاطعة سنّ الفيل والشياح الخ عدد السكان في هاتين المقاطعتين في القاطع نصارى ٤,١٨١ ذكوراً وفي زحلة والمتن وساحل بيروت يسكن من الذكور النصارى ١٤,٦١٢ ومن ذكور الدروز يسكن ٣,١٥٤ ومن ذكور المسلمين والمتاولة يسكن ٢٠٥ واما سكان بسكنتا وما يليها خارج هذا العدد ٣٨٢ ذكوراً وبينهم فقط (٤) خمسة رجال مسلمين

القسم الثاني الجنوبي

ـــ المقاطعة الحادية عشر الغرب ـــ انّ الغرب هو قسمان: الاوّل الغرب الاسفل ومن قراه الشويفات وعين عنوب الخ يسكنه الامراء بنو رسلان (كذا) من طائفة الدروز وهم الحكام فيه واهله نصارى ودروز عدد النصارى ١٤٥١ وعدد الدروز ١٠٨١ . والثاني الغرب الاعلى

ومن قراه الكحالة وشملان وعيناب الخ وحكامها من المشايخ بني تلحوق من طائفة الدروز فيه من النصارى ١,٥٦٣ نفساً ذكر ومن الدروز ٧٧١ ذكر

ــ المقاطعة الثانية عشر الجرد ــ ومن قراها بتاتر ورشميا الخ فيه يسكن المشايخ بني عبد الملك من طائفة الدروز وحكم هذه المقاطعة ينسب اليهم. فيه من النصارى ٢,٠١٦ ذكوراً ودروز ٨٩١ ذكراً

ــ المقاطعة الثالثة عشر الشحار ــ ومن قراها عيبه وكفرمتى الخ النصارى فيها ١٦٣١ والدروز ٩٩٠

ــ المقاطعة الرابعة عشر المناصف ــ ومن قراها دير القمر ويُدعى مدينة الجبل لاجل ما فيه من المتاجر والصنائع والابنية العظيمة القديمة. وفي هذه المقاطعة سراية الامير بشير الشهابي وهي دار حكومة الجبل. كمية عدد النصارى هنالك ٢,٨٩٤ ذكوراً وعدد الدروز ١,١٣٨ وباقيهم قليل من المسلمين واليهود

ــ المقاطعة الخامسة عشر العرقوب ــ (٥) ان العرقوب هو قسمان اعلى وادنى ومن قرى الاولى عين زحلتا والورهانية الخ ومن قرى الادنى البارودك والقريديس الخ. في العرقوب الاعلى يسكنون المشايخ بني السعيد وهم حكام هذا الجزء. وفي الادنى يسكنون المشايخ بني العماد والقريقان هم دروز عدد النصارى في هذه المقاطعة ١,٣٠٥ الدروز ١,١٣٥ ذكور

ــ المقاطعة السادسة عشر الشوف ــ ان الشوف هو قسمان ايضاً. الشوف الاول الشوف الجبلي ومن قراه المختاره وعين قنيه الخ والثاني الشوف السيجاني ومن قراه الجديدة والمسقانية الخ. اصحاب هذه المقاطعة مشايخ الدروز بنو جنبلاط يسكنون في المختاره وعدد النصارى فيها ١,٤٢٥ وعدد الدروز ٣,٥١٢

ــ المقاطعة السابعة عشر غربي البقاع ــ انّ غربي البقاع الى شرقي الشوف والعرقوب. ينسب الى هذه المقاطعة بندر زحلة. وهو اعظم قرى جبل لبنان لما فيه من الغنى والناس الاشداء شريفي النفوس الساكنين هناك من اثلث الطوائف روم. روم كاثوليك وموارنة الذين يبلغ عددهم ٩,٠٠٠ نفس. ولاية زحلة كانت تنسب لامراء المتن

ــ المقاطعة الثامنة عشر اقليم جزّين ــ ومن قراها جزين وكفرحوفه الخ سكانه نصارى ٣,٢٧١ ذكراً ويوجد بينهم دروز ٩٧ ذكراً

ــ المقاطعة التاسعة عشر اقليم التفاح ــ ومن قراها البرامية والهلالية وغيرهم ويبلغ حتى بساتين صيدا (٦). سكانهم نصارى ١,٧٨٤ وبينهم دروز ٣١ نفراً ذكراً فقط

ــ المقاطعة العشرون الحرنوب ــ ان اقليم الحرنوب الى غربي الشوف ومن قراه البرغوتية والحانية (كذا) وغيرهما فيه سكان نصارى ١,٥٠٢ ودروز ومسلمين ١,٠١٥ ذكر

ــ المقاطعة الحادية والعشرين جبل الريحان ــ هو اخر حدود جبل لبنان من الجانب الجنوبي ومن قراه ميدون واوردبه وغيرهما. عدد النصارى فيه ٣٢٧ وعدد الدروز ٦٨٦ ذكراً. ولاية هذه المقاطعة والاقاليم المذكورة هي تحت ادارة المشايخ الجنبلاطية انتهى

انَّ عدد الذكور المسيحيين في جبل لبنان كله يبلغ ٨٠،٣٥٣ وعدد ذكور الدروز والمسلمين والمتاولة ١٧،٤٥٧

الحادث الاول

في تغيير حاكم جبل لبنان وانقسام الولايات

انهُ لشيء واضح انَّ ولاية جبل لبنان كانت تحت ادارة حاكم واحد ولكن في السنة ١٨٤٠ في زمن ولاية الامير بشير الشهابي الذي تولَّى حكم هذا الجبل بنيف عن خمسين سنة . وبعد رحيل ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية من بلاد سوريا ورجوع هذه البلاد تحت ظل السلطنة السنيَّة فلاجل الاتفاق الذي كان عملهُ الامير المذكور مع ابرهيم باشا ما عاد يمكنهُ ان يدبّر ادارة ولايته : اوَّلاً لاجل الاتفاق المذكور . وثانياً لاجل ان كثيرين من مشايخ النصارى كانوا وقتئذٍ (٧) من حزب الدولة العليَّة . ومن ثمَّ ترك ولايتهُ ونزل في مدينة صيدا . ومن هناك توجَّه الى مالطة ثمَّ تسلَّم بيد الدولة العثمانيَّة وتوفي في الاستانة سنة ١٨٥١

بعد ذهاب الامير المذكور من الجبل تولَّى عوضهُ الامير امين ابو قاسم المسمَّى بدير الصغير وعندما حين جلس في سراية الامير بشير الكبير قامت عليهِ الدروز وطردوهُ ونهبوا مالهُ . ومن ثمَّ صارت فتنة بين النصارى والدروز بني ابي نكت (نكد) . ولمَّا انتصروا عليهم النصارى طردوهم من دير القمر وما يليها الى قرى عبيه والجاهلية وغيرهما من مقاطعة الشحَّار وهذه هي الوقعة المذكورة سنة ١٨٤١ . ومن هنا جرت العداوة بين النصارى والدروز وطالب كل فريق منهم انقسام ولاية الجبل

ففي سنة ١٨٤٢ صار انقسام جبل لبنان الى قسمين شمالي وجنوبي . فالقسم الاول تولى امرهُ الامير حيدر حاكم النصارى . والقسم الجنوبي تولى عليهِ الامير امين ارسلان حاكم الدروز

الحادث الثاني

في ولاية الامير بشير احمد واضطراب بني الامراء والمشايخ المسيحيين من جرى امريَّتهِ

انهُ بعد وفاة الامير حيدر المارّ ذكرهُ تولى حاكم الجبل على النصارى الامير احمد .

وهذا من ابتداء حكمه لم يعطِ لبني الامراء والمشايخ الاكرام والتقدم المأمول. ومن ثمَّ اضطربت مشايخ المتن والقاطع وكسروان وغير اماكن في حدود ولايته. ومثلهم ايضاً اضطربت اولاد الامراء وقصدوا تغييرهُ (٨) وان يولّوا عوضهُ الامير بشير عسّاف. ولكن بنا انهم لم يصيروا باتفاق واحد على هذا الرأي بل كان البعض يريدونهُ والبعض لا وغيرهم يريدون الامير بشير عسّاف او غيره. ولهذا وقع خلاف بين الامير والمشايخ وصار بينهم القلق والشرور مع الاضطراب العظيم وهذا امتدّ الى السنة ١٨٥٨ وقد كرهت الناس استماع اخبار المخاصمات من الجهتين

ففي خمسة شهر ايّار من السنة المذكورة صارت جمعيّة في قرب نهر الكلب وكان فيها من المشايخ الخازنيّة والحبيشيّة وغيرهم من المشايخ وبني الامراء. وفي وقته اقاموا محافظين على الاربعة جهات لكي لا يأتي اليهم احد غريب وهناك اتّفقوا على تغيير الامير بشير والي الجبل. وبعد اربعة ايّام او خمسة تولّف جمهور كبير نحو الف رجل وانطلقوا الى سراية الامير المذكور واعلنوا لهُ ان يترك ولايتهُ وينزل من الجبل ويسكن في بيروت او غير مكان والّا سيحيق بهِ ضرر كبير يأول بهِ الى فقد الحياة. ومن ثمَّ اسرع بالنزول الى بيروت احتفاظاً لنفسهِ ليعرض الامر الى مشير الدولة العليّة. وكان نزولهُ في ١٢ ايّار السنة المذكورة. وبنا انّ هذا العمل كان مغايراً لارادة الدولة لذلك صار الاهتمام في رجوعهِ الى ولايته. ولكن هذا الاعتناء عاد سدًى حيث صار النفور بين الاهالي وقلّ الاحترام للامير المذكور وبطلت سطوتهُ وما بقي من هيبتهُ الّا القليل جدًّا. وصار كل واحد من الناس يحلف برأس نفسهِ غير عارف لهُ رأساً او حاكماً وكل مرء (مرئ) صار يقتني السلاح ويشدّ حقويهِ للمقاتلة والخصام

﴿تنبيه﴾ اعلم انّ سكان جبل لبنان يُقسمون الى اربعة رتب اي امراء ومشايخ (٩) وخواجات وفلّاحين. ولكل من هذه الرتب اكرام خصوصي لا يعطى للغير

الحادث الثالث

في خروج المشايخ من كسروان

انهُ سنة ١٨٥٩ خرجوا المشايخ من بلادهم هم ونساؤهم واولادهم وما عادوا

يستطيعون الرجوع لانّ اهالي كسروان طلبوا منهم حسابات عن اموال غير عادلة وطلبوا ايضاً ان ترفع رتبة شرف المشيخة ويصير اعطاء الشرف كمقدار الغنى. فهذا الامر لم يُحسب مناسباً عند المشايخ وقذفوا به وعدُوهُ جسارة وافتراء. وذلك ابتدت بين الفريقين المخاصمات رويداً رويداً فاشتدَّ القلق ودخل النفور وصار الاضطهاد وقاموا ضدّ بعضهم بعضاً. واذ كان حزب الاهالي اكثر من المشايخ قووا بذلك واقاموا لهم رأساً ومتقدّماً واحداً من رتبتهم يدعى انطانيوس شاهين من قرية ريفون. فصار يتقدّمهم وهم يطيعونهُ ويجتمعون اليهِ جماهيرَ جماهير لاخذ الرأي ولنجاح عملهم ودعوهُ انطانيوس بيك

واما هو وقتئذٍ فاخذ يستشير باعمالهِ خرشد باشا والي صيدا وبيروت والمذكور كان يريهِ المناسب. وقيل انهُ كان يرشدهُ ليقتل كل المشايخ ويمحوا اثرهم من البلاد الكسروانيّة ولكن انطانيوس بيك لم يسلك بسبيل كذا ولم يقصد مثل هذه المقاصد. بل شدَّد الخوف على المشايخ حتى التزموا ان يتركوا بيوتهم وارزاقهم ويهربوا الى بيروت

وفي احدى القرى صارت مخاصمة بين المشايخ والاهالي وقد دخلت بين الرجال بعض النساء. وانهُ قُتل من هنّا (منهنّ) اثنتان فقط. وفي قرية اخرى (١٠) ضربوا الاهالي احدَ الشيوخ واذ كان متقدّماً في العمر فبعد يومين مات. وغير هؤلاء لم يمت احد من حزب المشايخ. وارزاقهم وبيوتهم تُركت بغير صاحب وما عاد يمكنهم الحصول عليها. وحدث لهم من جرى ذلك فقر وضيق كلي ضجرت منهُ نفوسهم. وصاروا يكثرون الاعراضات والشكايات لدى مشير بيروت خرشد باشا وكانوا يتوسلون اليهِ في اصلاح حالهم. ولكن جميع تعبهم عادَ سدًى لان المذكور كان يوعدهم مواعيد الطمأنينة والرجاء لا غير

ثمّ السيّد بولس بطريرك الموارنة قد كان بذل الاعتناء والاهتمام كثيراً في رجوع المشايخ لمحلّاتهم واعطى اوراق حرومات كثيرة الى كل القرى في شأن صيانة اموالهم. وعمل جمعيّةً وفيها اقنع الاهالي في امر رجوعهم ولهذا ارسل قسوساً واعواماً الى ساحل بيروت وبهم استدعى المشايخ لبيوتهم وليملكوا ارزاقهم. وانّما المذكورون ففي وقتهِ ابوا عن المجي لسبب اضطراب الجبل وعدم الامنيّة ولاجل غير اسباب ايضاً

الحادث الرابع

في سبب الفتن بين النصارى والدروز

انّ الشيطان الرجيم عدوّ السلام القى شرار نار الفتن في جبل لبنان من الجانب الجنوبي لانهُ في ١٤ من شهر آب سنة ١٨٥٩ كان مجتازًا في الطريق شابّان من الدروز ومعهما حمير. وكذلك كان عابرًا تلك الطريق شابّان من النصارى من قرية بيت مري ومعهما حمير ايضاً. فطلب اولئك من هؤلاء ان يدخلوا الطريق قبلًا واذ لم يذعنوا لهم تضاربوا مع بعضهم بعضاً وكبر الشرّ ما بينهم حتى اتّصل ما بين آباء الفريقين. وفي وقتهِ تنأّب (١١) النصارى على الدروز. ولذلك المذكورون ذهبوا واتّفقوا مع البعض من طائفتهم وجاءوا بغتةً على القرية المذكورة وضربوا اهلها ونهبوا وحرقوا البيوت وقتلوا اكثر الرجال ومضوا. فمن قبل هذه الفتنة اشتعلت نار الغيرة في قلوب النصارى وبدأوا يقدمون الاعراضات لديوان مشير بيروت خرشد باشا. واذ لم يحصلوا على الافادة منهُ بأخذ حقوقهم من الدروز صاروا في هيجان عظيم ولاسيما حين تحقّقوا ان الدروز في استعداد كبير للحرب. ولذلك ابتدأوا هم ايضاً يباشرون بعمل ما كان واجباً للحرب. ولكن الدروز لما نظروا شدّة عزم النصارى وكانوا عالمين بكثرتهم واقتدارهم ارسلوا يقولون لهم: اننا نريد ان نشهر بيننا الصلح ما بالكم تستعدّون للحرب معنا؟. فاجابت النصارى على ذلك قائلين: ونحن ايضاً نريد الصلح باكثر رغبة على شرط ان تعمّروا البيوت المحروقة في قرية بيت مري وتردّوا مسلوباتها.

وقد كان سؤال الدروز هذا احتيالًا لا حقيقيًا لانهم لم يردّوا جواباً على تحرير النصارى المذكور. ومن ثمّ صار المسيحيّون بحيرة وعجب في كيف ان الدروز بعد سؤالهم عن امر الصلح لم يعتبروا جواب النصارى مع انهم بالنسبة الى النصارى قليلون جدًا. وقيل ان الدروز تشجّعوا من قبل مواعيد خرشد باشا بانهُ يقدّم لهم كل ما يحتاجون اليه لعمل الحرب. وقيل ايضاً انهُ اعلن لهم انهُ خرج امر سرّي في قتل ونفي كل النصارى لان الدروز صاروا في همة كبيرة للحرب ولاجلها تركوا كل مواسم فلاحة حقولهم وبدأوا يجتمعون جماهير جماهير في اماكن اماكن (١٢)

واما النصاري فحين نظروا ان الدروز هكذا في همة كبيرة للحرب حينئذٍ هم ايضاً اخذوا يستعدون لذلك. ولكن قبل عمل الحرب توسّطت القناصل بلافاة هذه الفتن وكانوا يطلبون من الباشا زجر الدروز. واذ لم تحصل الافادة بذلك حينئذٍ اشتهر الحرب بين الجهتين

الحادث الخامس

في وقعة دير القمر الاولى وخراب قرى المتن وساحل بيروت واقليم جزين وغير قرى

انهُ حين كان النصارى يفتكرون في صرف هذا الشرّ بدون اهراق دم جاءت الدروز وباشروا دير القمر واحاطوا بها من كل جهة وقطعوا عنها معين الماء ومنعوا جلب المحاميل الواردة وبقوا معسكرين حولها نحو اربعين يوماً وكانوا يطلبون السلاح. فمن هذه الحال الضيقة ضجرت اهالي دير القمر وسألوا للدروز ان يدخلوا اليهم ويتسلموا الطريق امامهم. فحين دخل المذكورون وكانوا كثرة كبيرة جداً بدأوا ينهبون ويحرقون. وانذلك رجال النصارى ابتعدوا عنهم الى ناحية في الدير لرؤية الامر. ولمّا نظروا ان الدروز صاروا يفتكون بالرجال وغايتهم نهب الدير وحريقه احتل سكانهُ صاحوا وقتئذٍ بصوت واحد وهجموا على الدروز وقتلوا منهم نحو الف رجل ومن النصارى قُتل مقدار ثلاثمائة رجل. وبعد ذلك رجعوا وحصّنوا انفسهم تجاه اعدائهم بما انهم رجال اشدّاء لا يهابون الموت ولا يخافون هجمات الدروز

ولما بلغ خبر هذه الوقعة لوالي بيروت اسرع حالاً وبدون ابطاء ارسل العساكر الثابتة وعسكر الباش بوزق وامرهم ان يجلسوا في مقاطعة ساحل بيروت في الطريق الذي يؤدي من كسروان الى دير القمر قاصداً حفظ هذا الطريق من الكسروانيين. (١٣) ثمّ في ذلك الوقت نشر الدروز خبرًا انَّ النصارى معتمدون على اخذ بيروت وضرب عسكر الدولة وقتل المسلمين والباشا معاً وأخذ اموالهم. ومن ثم خاف المسلمون وطلبوا من الباشا ان ينقلوا اموالهم الى سراية الحاكم وهو أذن لهم بذلك. ولهذا بوقت وجيز امتلأت السراية من امتعة المسلمين الساكنين خارج ابواب مدينة

بيروت . واما الدروز فانهم بعد رجوعهم من دير القمر هاجوا جميعاً وصاروا يحرقون وينهبون قرى المتن وساحل بيروت والعرقوب واقليم جزين . وغيرهم يقتلون الرجال ويشتّون النساء . وقد بلغوا بهذا العمل حتى حدود كسروان من الجانب الشمالي . ومن الجانب الجنوبي وصلوا الى قرية جزين فحرقوها وقتلوا رجالها وفاتوا حتى بساتين صيدا وهناك قرب باب صيدا ذبحوا نحو اربعين كاهناً وعشرين راهباً وكثرة من العوائم المسيحيّين الذين كانوا اخذوهم ليحفظوا حياتهم من الموت ويدخلوهم مدينة صيدا حيث الامان . ومن ناحية بلاد الشام بعد ان حرق الدروز قرى حاصبيا وراشيّا ونهبوا اموالهم وقتلوا رجالهم على نوع الهجم . ولم يبقوا منهم الّا القليلين الذين ما رأتهم اعينهم اتصلوا الى قرب مدينة الشام . ومنهم هاجت المسلمون في تلك القرى فقاموا على النصارى الساكنين فيا بينهم وقتلوا منهم كثيرين واخذوا اموالهم وكانوا يقولون «مَن أَسلم سَلِمَ» ولهذا اسلم رجال ونساء كثيرون من اهالي تلك القرى حتى وكاهن ايضاً اسلم واحال الكنيسة الى جامع وثبّتوا فيها بينهم سنن شرائع الاسلام كالزواج وغيره (١٤)

وفي مرور هذه الزوابع أُخذت في دير سيّدة المخلص خزنة الروم الكاثوليكيين الثمينة المشتهرة بالفنى والاواني الكنائسيّة النادرة الوجود وتبدّدت رهبانهُ ورهباتهُ . والبعض شربوا كاس المتون والذين بقوا احياء من تلك القرى هربوا الى بيروت وصيدا والشام ثمّ الى كسروان وصار بهم الاعتناء من المسيحيين في هذه المدن لان حالهم كان يرثي لها كل ناظر

الحادث السادس

في ما صنع العسكر في ساحل بيروت وفي اتفاق خرشد باشا مع الامير احمد وانقسام النصارى

انّ العسكر الذي خرج من بيروت بأمر المشير وجاء الى الساحل وسلك طريق كسروان كان غير امين بحقّ الدولة العليّة لانهُ قيل ان اولئك العساكر كانوا ينهبون البيوت التي هنالك ويحرقونها ويشتّون الرجال ويقتلون كل من وقع في ايديهم .

وقيل ايضاً انهم فعلوا بالنساء والبنات افعالاً قبيح ذكرها ولهذا هربت كل النساء سكان تلك القرى والتجأوا الى بيروت وكسروان. واولئك العسكر لم يصنعوا شيئاً غير هذا. ولذلك طلبت القناصل كثيراً من المشير ان يردّ هذه العساكر لمحلاتها لان منهم صار ضرر لا خير. وأما هو فلم يقبل بل زاد على ذلك حتى انهُ اتفق مع الامير احمد المارّ ذكرهُ بان يعطيهُ عساكر كافية لحفظهِ ويرسلهُ ليتولى ولايتهُ ويجلس في طرفهِ ويحكم حسب ارادتهِ ويقاصّ كل من لا يريدهُ ان يكون حاكماً. وقيل انهُ اعطاهُ اذناً ليقتل من دون مراجعة لمن يراهُ مستحقاً لذلك(١٥)

ثمّ اتّفق المشير مع المشايخ الكسروانيين ووعدهم بالرجوع الى بيوتهم بانتصار وعزّ عظيم وانهم سيطلعون الى بيوتهم صحبة العساكر الشاهانيّة ويملكون ارزاقهم ويحكمون محلاتهم باحسن حال عمّا ذي قبل وانهم سيرون اعداءهم مقتولين تحت ارجلهم. وايضاً جلب اليهِ اولاد الامراء كالامير عسّاف وغيره ووعدهم باعطاء عسكر كافٍ ليتولّوا مناصبهم ويحكموا كحسب ارادتهم. فبهذه الوسائط وغيرها قسم النصارى على بعضهم بعضاً وغيّر عزمهم ضدّ الدروز ولم يبقَ على اتفاق واحد سوى اهالي [illegible] وحارة دير القمر. ومن ثم وقع الاختلاف فيما بين النصارى وصار الانقسام حتى بين الكسروانيين وذلك سرّاً لا ظاهراً. وكانوا يظنون انهُ اذا مات انطانيوس بيك شاهين يتبدّد العسكر ويظهر الانقسام في كسروان ولهذا جعل عدوٌّ السمّ في غداء انطانيوس بيك شاهين وبعد ان تناول منهُ المذكور وقع في الفراش مريضاً وأشرف على الموت. ولكن لاجل قوّة المقاديم المطاة لهُ حالاً وبعناية الله نجا منهُ سالماً. وقيل عن غير اناس انهم ارادوا قتل السيد البطريرك ولكن لم يحصلوا لذلك على وسايط كافية

الحادث السابع

في سفر جزء من عسكر كسروان على الدروز وانكسارهم

انّ سكان بيروت المسيحيين لما نظروا حال اخوانهم الساكنين خارج بيروت وكسروان انهم بضيق كلّي وانّ شدّتهم غدت لا تحتمل كون بيوتهم أحرقت بالنار

واموالهم أخذت وما عاد لهم من يسعفهم . وكذلك اهالي دير القمر صاروا في ضيق كبير من تزاحم الدروز حولهم (١٦) وانقطاع دخول محاصيل الماش اليهم وشدة الغلاء حينئذٍ طلبوا من خرشد باشا مشير المدينة ان يعمل اصلاحاً لهذا الخراب . فالمذكور لم يجب طلبتهم ولم يعمل حتى عملاً واحداً بل كان يعدهم مواعيد بلوتيكيَّة لا غير

فلشدَّة ضيق وكثرة صراخ المسيحيين المسببين رأوا اهل بيروت المسيحيُّون مناسباً ان يطلبوا عوناً لاولئك من الكسروانيين . ولهذا كتب السيد طوبيا مطران الوارنة مكتوبين الواحد للسيد البطريرك بولس والآخر الى انطانيوس بيك شاهين وارسلها مع وكيله الخوري جبرائيل وكان يطلب في الكتابين ان يرسلوا رجلاً من قبلهم لمساعدة اهالي دير القمر وما يليها وهو يقوم بكل لوازمهم . فحين وصل الخوري المذكور الى دير بكركي في كسروان وقدَّم للسيد البطريرك ولانطانيوس بيك الرسالتين الآتي بهما وغب اطلاعهما على طلب السيد طوبيا ، قبلا بذلك وكانوا يقولون انَّ كسروان الآن في حوزة الامان وبعيد عن الدروز ونحن محصَّنون تجاههم فلماذا نرمي برجالنا خارج حدودنا في الاخطار البيّنة ونعطي سبباً الحرب ونفتح سبيلاً للاعداء لتأتي الينا

فالخوري المذكور عند سماعه هذا الجواب اخذ يتضرَّع متوسِّلاً اليهما ويحرِّك قلوبهما للمحبة والغيرة المسيحيَّة وكان يناشدهما بما يأول لاكرام الديانة وتمجيد العزَّة الالهيَّة . حينئذٍ افتكر السيِّد البطريرك وانطانيوس بيك انهُ ان لم يقبل تحرير السيد مطران طوبيا ربَّما يصير ضرر اكثر للمسيحيين ويصير اللوم عليهما من الجميع ولذلك امرا ان يذهب خمسمائة رجل من عسكر كسروان لمساعدة اهالي القرى (١٧) التي قرب دير القمر . ومن ثمَّ انطلق العسكر المذكور ولما وصل الى ساحل بيروت حيث كان عسكر الدولة رابض (رابطاً) . حينئذٍ قاموا تجاههم وقصدوا ان يمنعوا سيرهم الى دير القمر . ولما لم يقدروا على ذلك عبر عسكر كسروان بدون ضرر للجهتين . وحين وصلوا المكان المقصود لم تفرح بهم اهالي تلك القرى بل ازدادوا غمّاً وحزناً واشتدَّ عليهم الخوف وكانوا يقولون انهُ الآن لسبب مجيء الكسروانيين الينا ستقفل علينا يد الدروز . ولهذا لم يقدّموا لهم الاكرام والقبول اللازم . ومن جهة بيروت قد تأخرت عنهم الذخيرة الواجبة

فمن قبل هذه الاسباب تفرّق طابور عسكر كسروان الى اقسام عدّة لكي يجدوا لهم ما يأكلون. ولكن منهم شرذمة نحو مائة وخمسين رجلاً نزلوا الى الوادي الى قرية من قرى الدروز من كل جهة وجانب ولاجل قلّتهم وكثرة الدروز ولّوا هاربين وقد قُتل منهم خمسة عشر رجل والبقيّة هربوا الى محلّاتهم والجميع رجعوا الى كسروان من طرق غير اعتياديّة

فوصل الخبر لخرشد باشا والي بيروت فاستدعى اليه السيّد طوبيا مطران الموارنة المارّ ذكرهُ وقال لهُ: يجب ان يمنع اهالي كسروان بالّا يخرجوا خارج حدودهم وان خالفوا امري هذا سأطلع انا وآخذ معي عسكر الدولة العليّة واضرب كسروان وافنيهم جميعاً. فالسيّد المذكور بعد مخاطبات كثيرة لاطف الامر وخرج من السرايا بسلام وهدوّ (١٨)

الحادث الثامن

في تحصين كسروان واجتماع العساكر

انهُ كما ذكرنا في الحادث السادس انّ النصارى انقسموا على بعضهم بعض ولم يبقَ على اتفاق واحد سوى اهالي كسروان وزحلة ودير القمر. فهؤلاء لاجل بُعد الاماكن كانوا دائماً يكاتبون بعضهم بعضاً في امر الثبات على اتفاق واحد. ولكن لاجل السبب المذكور ما امكنهم ان يؤلفوا عسكراً واحداً من جمهورهم. ولذلك صار كل منهم يحصّن نفسهُ وهو في مكانهِ. فأهالي دير القمر كانوا يتحصّنون ضمن الدير ولكن في ضيق كثير كما ذكرنا واهالي زحلة كانوا مستعدّين للحرب. واحتياجهم كانوا يأخذونهُ من الشام. وأما اهالي كسروان بعد ان اجتمع بعسكرهم الى اربعة آلاف رجل اقاموا في نهر الكلب ليحفظوا وغاص كسروان. وكانوا متيقظين ليلاً ونهاراً لهجمات الدروز لان ما كان لهم ارادة السفر على المذكورين. ولكن بما انهم فقراء الحال وقراهم بعيدة عن بعضهم بعض ومتفرّقين جدّاً لذلك بعد اجتماع عسكرهم في نهر الكلب احتاجوا لاسعاف الغير. ومن ثمّ اخذوا اسعافاً دراهم كثيرة من رؤساء الاديرة ومن تجار بيروت

ولنجاح الحرب ارسل السيد البطريرك بولس واستدعى اناساً من جبيل والبترون لمساعدة عسكر كسروان وكان متقدم اولئك يوسف بيك كرم رجل مسيحي حسن السيرة وفطن في كل اعماله. فبهذا حين وصل الى كسروان وكان برفقته اربعمائة رجل فقط وبقيّة عسكره تركهُ في بلاده تحت الطلب. وبعد وصوله صار جمعية في كيفية السفر على الاعداء. وكانت نتيجتها ان يبقى العسكر في حدود كسروان زمناً ما (١٩) لكي يروا الوقت المناسب للسفر. ولهذا بقيت العساكر كلّها في جونية ونهر الكلب. وكان في كل يوم يحثّهم يوسف بيك على الصلوات وتكميل لوازم الديانة المسيحيّة لاسيما الاعتراف والتناول. ومن ثمّ كان جمهور العساكر كل يوم مساء يركعون على حضيض الارض ويتلون الطلبة وبقيّة الصلوات المائيّة

ثمّ انهُ حين وصل رجال كسروان الذين كانوا مضوا لمساعدة قرى الساحل واخبروا بكل شيء رأوهُ. وان الدروز يومئذٍ يحرقون القرى وينهبون مال النصارى ويقتلون الرجال وليس من يمانعهم. وانّ اهالي دير القمر في ضيق عظيم من قبل الدروز المحيطين حولهم. وان العسكر الجالس في الساحل يضرّ النصارى ظاهرًا وخفيًا ويعلم جهارًا. حينئذٍ صار الاجتماع في كيف يعضدون اخوتهم المسيحيين الحاصلين في تلك الضيقات والبلايا المكتئبة. ولهذا كانوا يقولون ان زحفنا رجالاً على الدروز من طريق الساحل لا بُدّ من ان العسكر يقاومنا. وان ضربناهُ وعبرنا الطريق سنظهر بانّنا اعداء الدولة العلية ومضادُّون لها الامر الذي لا نرضاه البتّة. فإذن الموافق هو ان نذهب من الطريق العالية طريق زحلة لانهُ عاد ينبغي لنا ان نضرب الدروز وننجي انفسنا واخوتنا معاً او ان نموت نحن واخوتنا سويًا. وبعد هذا صار يوسف بيك كرم يذهب رويدًا رويدًا نحو الاعداء. وكان معهُ عسكر من كسروان ومن الفتوح وجبيل والبترون وهكذا خرج خارج حدود كسروان ووصل الى قاطع المتن الى بكفيا وبسكنتا حتى الى قرب زحلة. وانطانيوس شاهين بقي في كسروان لمحافظة البلاد. وكان معهُ كثرة كثيرة من العساكر الكسروانية (٢٠)

الحادث التاسع

في خروج خرشد باشا من بيروت لاصلاح اهالي الجبل

انّ اضطراب جبل لبنان كان سابقاً يبلغ مسامع الدولة العليّة ومن ثمّ صار الامر

الى المشير المذكور ليطلع هو بنفسه ويصلح الاهالي. وهذا الامر قد كان وصل اليه من مدّة شهرين او اكثر لطلوعه هذا. ولكن هو لم يرَهُ مناسباً الّا في هذا الوقت حين سمع انّ اهالي جبيل والبترون وكسروان وزحلة جميعاً صاروا باتفاق واحد على ضرب الدروز وانهم مستعدون للذهاب من طريق زحلة. حينئذٍ قصد الطلوع الى الجبل. ولكن قبل ذهابه من بيروت تمهّد خطّاً وختماً لجنرال دولة فرنسة ولبقيّة القناصل انهُ اذا طلع في هذا الوقت سيُصلح امور الجبل كلها ويرفع الحصار عن اهالي دير القمر ولا يدع يُصيبهم ادنى كدر. ولمّا خرج من بيروت اخذ معهُ طاهر باشا مشير العسكريّة وصحبوا معهم ثلثة آلاف او اكثر من عسكر النظام وجاؤوا الى الحازميّة ومكثوا هناك في المكان الذي يقسم حكم النصارى عن حكم الدروز. ومن هذا المكان صار يرسل لاهالي دير القمر رسائل الامن والسلام وكان يطمّنهم كثيرًا على حياتهم ويَعدهم بكل ما يمكن لحصول الراحة والامان. ولكن كان يقول لهم انهُ يجب عليهم ان يسلّموا اسلحتهم لكي لا يبقى للدروز سبب للافتراء عليهم. وبقي جالساً في الحازمية هو والعسكر الى بعد أخذ زحلة ودير القمر (٢١)

الحادث العاشر

في أخذ زحلة

انهُ في اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٠ حين كان خرشد باشا في الحازميّة ويوسف بيك كرم في قرب زحلة وانطانيوس شاهين في كسروان جاءت الدروز على زحلة بطريق الاحتيال والغشّ. لانهم اذ علموا باتفاق النصارى ووصول يوسف بيك كرم الى بكفتا حينئذٍ غيّروا نظام ثيابهم وعلامات بيارقهم ورفعوا بايديهم بيارق حمرًا في رؤوسها صلبان وجاؤوا خفيةً الى زحلة من تلك الطريق المزمع ان يأتي منها عسكر كسروان. ولما أشرفوا على المدينة ورأوهم أهلها بدأوا وقتئذٍ يرتلون اغاني حربيّة بهجةً بالنصارى ضدّ الدروز. وكانوا يظهرون علامات الفرح والسرور لبعضهم بعض ويقوّصون البارود ويصيحون نحو سكان زحلة كانهم نصارى اتوا لاعانتهم. ومن ثمّ ظنّوا بهم انهم رجال يوسف بيك

كم. وبهذا الخبث والمكر دخلوا زحلة واذ تمكنوا منها صاروا ينهبون ويحرقون ويقتلون الرجال. وفي ذلك الوقت وصل الى زحلة من جهة الشام عرب لا عدد لهم لكثرتهم. ومن ناحية المتين جاء جمهور دروز كبير. وقيل انهم كان معهم عسكر من الدولة. والجميع هجموا على المدينة قاصدين خرابها وقتل رجالها وأخذ المال والعرض

ولكن لما نظروا اهالي زحلة انَّ الحال صار هكذا حينئذٍ تركوا كل اموالهم وارزاقهم وصاحوا كلُّهم بصوت واحد: «يا رجال لقد اخذونا غدرًا هلموا مسرعين للاجتماع بمكان واحد نحن واولادنا ونساؤنا». فمن هذا الصريخ الهول اجتمع (٢٢) الجميع في لحظة واحدة وهم جعلوا نساءهم واولادهم في الوسط والتفُّوا حولهم كدائرة السور وجرّدوا اسلحتهم وخرجوا على هذا النوع من البلد الى البرية. وفي هذا الوقت تضارب الدروز مع الغرباء الهاربين من العرقوب الى زحلة ومع البعض من اهل المدينة وقد قُتل من الزحالنة وقتئذٍ نحو ثمانين رجلًا فقط. ولما تفرقت سكان زحلة اقرفها اعداؤها من كل مالها وأظلم جوُّها. لانهُ بعد النهب الكامل قد حُرقت. ولم يبقَ من سكانها سوى مقدار الثلث فقط

وقد وصل ضرر كبير واهانة عظيمة للآباء اليسوعيين لانهُ بعد ان نهبوا ديرهم ذاك المشتهر في زحلة بالغنى مسكوا منهم اربعة اكفار كاهنًا وثلاثة رهبان وبعد اهانات فظيعة تلحق بالديانة وبالدولة الفرنسوية قتلوهم بنوع أليم(١)

ولكن ترى ما الذي صار بالزحالنة الهاربين الذين كانوا عزَّ الجبل لبنان اجمع لِما عندهم من الغنى والشجاعة والاقتدار في حرب. نعم هربوا من الموت ولكن مات غناهم وشرف اقتدارهم وصاروا في البرّي المقفرة كالظأن (كالضأن) المطرودين من الذئاب الخاطفة واحتملوا عذاب الموت بل مرَّة واحدة بل مرارًا عديدة. لانهُ كان هربهم الى جرد كسروان في زمن اشتداد حرّ شهر حزيران وما كان معهم شيء. ليأكلوه ولا اوعية ليرفعوا بها الماء. وما كان معهم ما يوقيهم (يقيهم) حرّ النهار وبرد الليل. بل كانوا كلهم مضنوكين من شدَّة الجوع والعطش المذيب وكانوا في النهار يلتجئون الى

١) هذه اسماؤهم: الاب ادوار بيلوتيه (Ed. Billiotet) والاخوة فرديند بوناشينا (Ferd. Bonacina) والياس بونس الماروني وحبيب مقصود الرئيس الكاثوليكي

شقوق الصخور وظلّ الاشجار ليختبئوا من حرارة الشمس وهذا ما كان يحصل للجميع (٢٣). وفي الليل كانوا يرقدون على حضيض الارض فوق التراب وتحت السما بدون شيء يستترون به ومن ثمّ كان الوالدون ينظرون الى بنيهم ويبكون منتظرين متى يكون موتهم. وكذلك البنون كانوا ينظرون الى آبائهم الصائرين كالاموات ويبكون بعويل لا يباح بوصفه. وبقوا على هذه الحال الى ان تفرّقوا ضائعين كل واحد منهم في مكان. وقد كان اكثر التجائهم الى بيروت وكسروان وكانوا يعيشون من اسعافات المسيحيين الملتجئين اليهم

الحادث الحادي عشر

في خراب دير القمر

انّ خراب دير القمر كان ابتداؤه في اليوم الحادي والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٦٠. فحين رحل الدروز من زحلة توجهوا لناحية دير القمر ودخلوها بدون مانع واختلطوا مع سكانها لان خرشد باشا كان وقتئذٍ اعطاهم الطمأنينة والامان كما سبق القول عنه. وكانوا هم ايضاً سلّموا اسلحتهم وصاروا يبيعون ويشترون مع الدروز وكانوا براحة وامان كذي قبل

ولما كان الدروز ممتلئين داخل دير القمر وكان اخوتهم محيطين حولهُ من كل الجوانب لئلا يهرب احد من المسيحيين صار بغتةً صريخ هول ومرافعة كبيرة وبدأ الدروز ينهبون مال النصارى ويرسلونه سالاً الى قراهم مع اولادهم ونسائهم. وبعده اخذوا يذبحون النصارى بدون استثنا. وبدون رحمة. وكان قصدهم ذبح الرجال والبنين الذكور فقط. فيا له من منظر حزين وذبح اليم لانهم كانوا يذبحون الشبان والشيوخ (٢٤) كذبح الغنم من اعناقهم او كانوا يقطعون آذانهم وارجلهم وايديهم ثمّ يميتونهم بدوس الارجل. وغيرهم كانوا يقطعونهم بضرب البلطات كانهم عودان من الحطب. والبعض كانوا يذبحونهم ذبحاً غريباً مبتدين من بين الكتفين حتى الزلوم. واما الاطفال فكانوا يفسخونهم ما بين اثنين كفسخ الخراف الآخوذة بفم الذئاب. والبعض من المسيحيين التجأوا الى سراية الحكم التي كان فيها وقتئذٍ قائمقام عثملي

من قبل الدولة وعدّة عسكر. وصاروا كثرة كبيرة فالدروز جاؤوا ودخلوا السراية وقتلوا الجميع ولم يخلص منهم سوى سبعة انفار الذين حفظتهم امرأة القائمقام (١. وقيل ان العسكر كان يقدّم النصارى للذبح. انّ الذين بقوا احياء من اهالي دير القمر قيل انهم سبعمائة نفس ذكر لا غير. هؤلاء منهم من اختلطوا بالنساء في زمن الشتات. ومنهم من كان خارج البلد. ومنهم ايضاً من اختفى في بيت احد الخواجات الاميركانيين الساكن هناك لان الدروز في كل الشرور التي صنعوها لم يضروا باحد الانكليز البتّة. قيل انّ احد اكابر الدروز في زمن الوقيعة كان جالساً على كرسي في شارع هناك وكان يشرب اركيله وقهوة ويترنّم بالفاظ الفرح والسرور. وكان اعوانه يأتون بالنصارى احزاباً احزاباً ويذبحونهم امامه. وبمقدار كثرة المذبوحين كان يزداد تهليلاً وفرحاً. وقيل انّ الدار التي كانت معمولة لاجل القهوة والاراكيل كانت من خشب الصنوبر والصليبان

خبرونا ان الدروز دخلوا بيتاً وكان فيه رجل وامرأة وخمسة بنين(٢٥)فاجلسوا المرأة في وسط البيت على مسند والرجل امامها واخذوا يذبحون البنين على فخذيها ويضربونها ويقولون لها انتي هي السبب لاننا اليوم نريح بلادنا من هذه البنين جاؤوا بالرجل وذبحوه بين ارجلها ومثل هذه الفظاعة صدرت من المشيرات من النساء حين ذبح اولادهنّ

فمن يقدر ان يتصوّر شدّة الضيق وكثرة الصراخ والبكاء والنحيب الصادر وقتئذٍ في دير القمر لاسيما لمّا رأوا انهم محاطون من كل جهة وجانب وليس لهم سبيل للهرب من وجه العدو وانّ النار اشتعلت في دير القمر كله ولم يبقَ مكان خالٍ من الحريق. ففي هذا الوقت رأوا خرشد باشا وصل الى الدير فوجد كل شيء قد تمّ وما بقي احد من النصارى وان النار مشتعلة في اربع جوانبه. حينئذٍ انطلق الى محل الدروز وبقي عندهم نحو ثلثة او اربعة أيام. وبعد ذلك رجع الى الحازمية مكانه الاوّل. والدروز حرقوا بعده كل بلد دير القمر ولم يتركوا فيه حجراً على حجر مبنيّاً بل جعلوه كله تلّاً متروكاً ومضوا وتشتّتت نساء الدير وباتت البنات في مقاطع المتن وبيروت وكسروان وكنت تراهم حفايا عرايا ومضنوكين من الجوع والعطش والحرّ

١) وفي هذه الواقعة قُتل عشرون من رهبان الموارنة. والاخ اليسوعي الشيخ حيدر حبش

مغموسين بالتراب والاوخام الرثّة كأنهم اموات خارجون من القبور. وحين وصلوا الى بيروت على هذه الحال المرثي لها حالاً حضرت الآباء اليسوعيُّون والبتولات الغازاريات واكابر الطوائف النصرانيَّة فلاقوا هذه الجماعة كلها بكل ما امكنهم من الحب والانسانية واعتنوا باحتياجاتهم بقدر مكنتهم وبحسبما ساقتهم اليه النيرة (٢٦) المسيحيّة. وقد كان اكثر اجتماع هؤلاء في دير الآباء اليسوعيين والبتولات الغازاريّات. وقد كانت حالهم شقيَّة بهذا المقدار حتى ان بعض اكابر الاسلام في بيروت رثوا لحالهم وقدّموا لهم احسانات مأكلاً ومليوساً

الحادث الثاني عشر

في عمل المتاولة وهربهم

امّا طائفة المتاولة فكانوا عاقدين عهداً مع الدروز في انهم يقومون معهم على النصارى. ومن ثمّ بعد اخذ زحلة وخراب دير القمر ارسل الدروز يعاتبون المتاولة عن عدم تكسيل وعدمهم وقلّة همّتهم وانهم حتى الان لم يضرُّوا بالنصارى القريبين منهم. ولهذا تحرّكت همّة المتاولة وقاموا ليضرُّوا بالنصارى فاوّلاً ضرُّوا قرى بعلبك ونهبوها وحرقوا البعض منها وقتلوا من رجالها. ثمّ بدأوا يضرُّون بقرى جرد كسروان ويخطفون الراعية كالمعزى والبقر. حينئذ خرج ضدّهم انطانيوس بيك شاهين وطردهم وحرق بعض بيوتهم ومنع مجيئهم الى كسروان وقيل انهُ قتل منهم حين كانوا يحاربون

الحادث الثالث عشر

في اضطراب كسروان

انهُ بعد اخذ زحلة وخراب دير القمر رجع يوسف بيك كرم الى كسروان ليستشير بالسيد البطريرك عن كيفيَّة العمل في المستقبل ولكن في هذا الوقت العسكر الذي كان معه صار يتفرّق ويتوجّه كلّ الى مكان ولم يبقَ برفقته سوى القليلين جدًّا. ومن ثمّ وقع (٢٧) خوف عظيم في كسروان لان الدروز صاروا في همّة المجيء وليس هم فقط بل وعسكر الدولة. وشاع الخبر انَّ الدروز مزمعون الاتيان الى

كسروان من طريق زحلة والعسكر ايضاً مزمع ان يجيء من طرق الساحل ويريد كلاهما الدخول الى كسروان في وقت واحد . وقيل ان المشايخ الخازنيَّة سيكونون مرشدين للعساكر(١

وهنا من يمكنهُ ان يصف شدَّة الخوف والقلق والاضطراب الذي صار وقتئذٍ لانهُ ارتجت بانزعاج كل سكان كسروان وقاطع المتن وصاروا في شتات جسيم . وتزعزع كل واحد من مكانه وطلبوا الهرب جميعاً . فكنت ترى الناس اجواقاً اجواقاً حاملين امتعتهم وسائرين كالسكارى والساهين لا علم لهم اين يهربون او اين يختفون . ولاجل كثرة الشتات ضاعت فطنة البشر لانك كنت ترى الناس الساكنين شرقي كسروان هاربين الى جونية وسربا في ساحل البحر من الجانب الغربي . واهل هذا الجانب كنت تراهم هاربين الى الجهة الشرقية . واهل غزير وعرمون الساكنين في الجانب الشمالي كنت تراهم هاربين الى زوق ميكائيل في الجانب الجنوبي وكذلك سكان هذه القرى كانوا يهربون الى الجهة الشمالية . وكثيرون هربوا الى بيروت . وغيرهم كثيرون حفظوا امتعتهم ضمن المراكب وكانوا مستعدين للسفر في وقت الخطر

ولكن ترى كم هو شديد ذلك الخوف الذي صار في كسروان لما رهبان الافرنج الفرنسيسكانيين الساكنين دير حريصا هربوا لبيروت . وكذلك حين هربوا لبيروت الرهبان اليسوعيُّون الساكنون ديرغزير واخذوا معهم كل اولاد(٢٨) مدرستهم الذين كانوا نحو مائة نفر . وكذلك ايضاً هربوا لبيروت الرهبان العازاريُّون الساكنون دير عين طوره . وجميعاً كان هربهم في وقت واحد بواسطة الفابور الفرنساوي الآتي لمينا جونية . وفي هذا الوقت ايضاً استعدَّ للهرب السيد بولس بطريرك الموارنة . ولهذا انزل امتعتهُ الثمينة الى البحر وجعلها في مركب كبير كان رابطاً في مينا جونية . والفابور الذي كان نقل رهبان الافرنج رجع وربط قدام جونية . وكان قصده اذا ما وقع خطر في كسروان على النصارى ان يأخذ السيد بولس بطريرك الموارنة وكل من امكنهُ اخذهُ

واما السيد غريغوريوس بطريرك الارمن الكاثوليكيين الساكنين دير السيدة بزمار فانهُ لما نظر هذه الحال المرئي لها قصد الهرب هو وساقفتهُ وكهنتهُ وكل اولاد

(١) شاع هذا الخبر بدون سند كأنَّ المشايخ ارادوا الانتقام من انطانيوس شاهين واشياعهِ

مدرسته وكان عددهم نحو خمسين نفر ولكن ما شاء ان يصدر في قلب جماعة خوف او يسبب اكثر شتاتاً في كسروان لتزول جمهوره ومن ثمّ انحدر خفيةً الى جونيه وكان معهُ مطران وكاهنان وشماس فقط. وعند وصوله اخذ مركباً كبيراً وجعلهُ ان يربط في ميناء جونيه ليوم الهرب منتظراً قدوم جماعته. وبعده توجه الى بيروت ليرى وسائط مناسبة لتدبير ديره وادبرة رهبانه الانطونيين

ثمّ الذي زاد الخوف في قلب اهالي كسروان وكثر شتاتهم هو الاتفاق الذي صار في بيروت. لانهُ في اوّل شهر تموز اجتمع في سراية الحاكم الامير بشير احمد حاكم النصارى والامير عساف وغيرهم من امراء ومشايخ وبعض اكابر من المتن والقاطع واتّفقوا على عمل الصلح بين الدروز والنصارى. ولهذا عملوا مضبطة وختموا هم واهل المجالس (٢٩) جميعاً وقدّموها لخرشد باشا وهو ايضاً ختم عليها وارسلها الى الاستانة العليّة. وكان مضمونها «انّ الشيء الذي صار قد مضى وما عاد بقي للنصارى طالب على الدروز شيء البتّة لا مال ولا دم وقد اصطلح الفريقان مع بعضهما بعضاً». وغب ارسال المضبطة صار ترتيب في ان الامير بشير احمد وغيره من اصحاب المقاطعات ان يطلعوا الى محلّاتهم وتُعطى لهم العساكر الكافية ليتولوا حكمهم ويقاصّوا كل من لا يطيعهم. وهذا الخوف بقي في كسروان الى ان وصلت العساكر الفرنساوية

الحادث الرابع عشر

في اضطراب مسيحيي بيروت

ان الجهال من مسلمين في بيروت قصدوا على الفتن وان يضرّوا بالنصارى نظير الغير. ولذلك في اليوم السبت الواقع في ثاني وعشرين حزيران سنة ١٨٦٠ صار اضطراب عظيم في المدينة. لان اثنين من شبان المسلمين تضاربا مع بعضهما بعضاً لاجل رفع اللحم من المسلخ لان الاثنين كانا قصّابَيْن فالواحد ضرب الثاني بالسكين والقاهُ ماتتاً وهرب. وحينئذٍ ادّعى المسلمون ان القاتل هو نصراني ومن ثمّ هاجت اهل المدينة كلها واغلقوا حوانيت البيع والشراء وصاحت المسلمون ضدّ النصارى وصاروا يضربونهم بالعصي ويهينونهم اهانات فظيعة وقد جرحوا البعض منهم وخطفوا اواعيهم واكياس دراهمهم. وبقي الحال هكذا مقدار ساعتين او ثلث ساعات

ثم توسّط الامر الشيخ محمد الحوت ذو الفضل وكان يقول لهم : لا يجوز ان تفعلوا شيئاً رديًا بالنصارى لانهم مجاورون لنا في المدينة واخوتنا بالطبيعة وانّ الله لا يرضى بذلك ولا النبي محمد . فالمسلمون (٣٠) لاعتقادهم بتقوى المذكور كفّوا عن اتّصال الفتنة ولكن مسكوا في ذلك اليوم شاباً نصرانيًا من طائفة الموارنة احد الهاربين الملتجئين الى بيروت وقدموهُ لديوان الحكومة وادّعوا انه هو القاتل وقالوا ان لم يُقتل هذا في هذا اليوم سنقتل نحن كل النصارى . ولذلك مضوا خفيًا واتّفقوا مع مشايخ الدروز الذين كانوا وقتئذٍ في بيروت في ان يأتوا الى مساعدتهم في تلك الليلة عينها . ولهذا اسرع المشايخ المذكورون ومضوا الى قراهم ليأتوا مساء مع جمهورهم . ولكن لمّا رأى المسلمون ان الحاكم مزمعٌ ان يقتل الشاب المذكور لذلك عجّلوا وكتبوا كتاباً وارسلوهُ لمشايخ الدروز في الساعة العاشرة من ذلك النهار وكانوا يقولون لهم ان يتأخروا عن المجيء في تلك الليلة ويبقوا الى ان يعرّفوهم ثانياً

فلما صار المساء ودخل الليل اجتمع جمهور كبير من المسلمين وجاؤوا الى سراية الحكم وطلبوا ان يُقتل ذلك الشاب النصراني ولجّوا في طلبهم هذا وقالوا : ان لم يُقتل الآن سنفتك بالنصارى كلها . وهنا من رويّة ان يشرح بكفاية شدّة الخوف وعظم الفزع الذي وقع على النصارى في ذلك اليوم وتلك الليلة . فكثيرون في ذلك اليوم سافروا الى الاسكندريّة ومصر وسالطه وقبرص وسيدا حتى الى باريس . ولكن الباري تعالى لم يكن قضى بعد على بيروت بل سمح بقتل رجل بريء فداء عن كثيرين . ولهذا انّ رجال مجلس الحكومة مسلمين ونصارى اذ نظروا كثرة الجمهور وتزاحم الناس بالسراية ختموا مضبطة بقتل الشاب المذكور (٣١) . وكانت بموجب شهادة ولد يافع نصراني ابن اربعة عشر سنة وولد مسلم ابن ستّة عشر سنة بدون اقرار من المقضيّ عليه لانهُ كان يقول « لا علم لهُ بذلك كليًا » وكان يقول « انا مسلّم نفسي اليكم ان قتلتموني وان اطلقتموني وغير هذا لا اعلم » . فكان خروج المضبطة في الساعة اثنتين ونصف من الليل وحينئذٍ اخذوا ذلك الشاب المسكين ومضوا بهِ الى ساحة المدينة ليقتلوهُ هناك وقد تبعهُ هؤلاء الجمع الغفير . وفي الطريق ملأوا جسدهُ كلهُ من الجروحات وبعد ان قطعوا رأسهُ صاح واحد من وسط الجمهور : « صلّوا على محمد » فاجاب الجميع « الصلاة والسلام عليه » . وهذا على ثلثة

امرار . وبعده انصرف كل واحد الى مكانهِ وهدأ الحال . ولكن بقي الخوف في قلوب النصارى ولأجلهِ كانوا لا يستطيعون رقاد الليل . لان المسلمين وقتئذٍ كانوا لا يزالون متسوجين بحركة الفتنة ويتهدّدون النصارى على الدوام

وفي اليوم الثاني عشر من شهر تموز زاد الاضطراب في بيروت واشتدَّ الخوف على المسيحيين لانهُ وصل خبر انَّ في الشام المسلمين عمّال يقتلون النصارى وينهبون اموالهم ويحرقون بيوتهم وكنائسهم ويَسْبون نساءهم . ولهذا ارتجّت مدينة بيروت كلها وصارت في قلق كبير والمسيحيّون غدوا كالسكارى خالين من كل فطنة وتدبير وطلبوا الهرب جميعاً . والقناصل اخذوا لبيوتهم محافظين من عساكر النظام وكانوا يسهرون على حفظهم نهارًا وليلًا . وفي هذا الوقت نزل خرشد باشا لبيروت وفي نزولهِ تمكن الخوف في قلوب النصارى لانهُ امر ان لا احد يسافر من بيروت ومسك طريق البحر . حينئذٍ (٣٢) اجتمعوا بعض قناصل الافرنج كلهم وطلبوا منهُ رسميًّا ان يعطيهم كفالة شرعية بختمهِ وخطّ يدهِ لحفظ المدينة من الضرر وان يرفع المنع عن السفر . واذ قبل المذكور طلبهم اعطاهم صكًّا كما ارادوا واخرج منادياً في المدينة يقول : « من اراد السفر فليسافر بدون مانع » . ومن ثمّ سافر في ذلك اليوم اكثر من الفين نفس . ثم اعطى بيورلدي لبطريرك الارمن الكاثوليكيين يعلن به عن محافظة ديرهِ وادیرة رهبانهِ واذن لهُ ان يرجع لكرسيّهِ

وكذلك ان مسلمين بيروت عملوا جمعيّة عموميّة في الليل في سوق العطّارين وفيها كان الناس متعقلون ولهذا اقنعوا الجهلاء في « ان فتنة كهذه لا توافق الديانة ولا الدولة العليّة ولا الراحة المدنيّة وانهُ لا بُد من ان يصير السؤال عن هكذا اعمال من دول الافرنج وسيطلبون منّا تعويضاً فتكون نتيجة ذلك خراب بيروت لا غير » وبهذه الملاحظة وغيرها انصرفت الجمعيّة وذهب كل واحد لعملهِ ولكن الخوف بقي في المدينة الى مجيء العساكر الفرنساويّة

الحادث الخامس عشر

في اضطراب المسيحيين في صيدا

ثمّ ان مسلمين صيدا تحرّكوا لعمل الفتنة والفتك بالنصارى ولكن قبل ان يتمّ

العمل وصل خبر لبيروت في هذا الشأن وحالاً توجه قنصلاوي فرنساوي حربجي ليرى صحّة الامر. ولما وصل لصيدا وتحقق حركة الفتنة حينئذ تهدّد المدينة بضرب المدافع وهدم المدينة. ولكن اذ نظر لا قدرة له اصدّ الضرر كلّيًا لان اهل صيدا المسلمين (٣٣) اعتذروا وقتئذٍ في ان الدروز مباشرون حول المدينة وطالبون منهم ان يسلّموهم النصارى الهاربين اليهم وان لم يسلّموهم يهجموا على المدينة وينهبوها عموماً. ولهذا السبب رجع القابور المذكور حالاً لبيروت ليستدعي غير قابورات ايضاً. ولكن قبل ذهابه صنع واسطة عجيبة لحفظ المدينة من الضرر

انّ في مينا صيدا قرب المدينة يوجد صخرة عالية في وسط البحر كجزيرة ما. فالقبطان صاحب القابور المذكور اخرج الى تلك الصخرة اربعة مدافع واربعين عسكرياً وجعل عندهم قارباً قائلاً ربّما تحتاجون اليه واوصاهم ان كانوا يرون علامات الفتن في المدينة حالاً يضربون المدافع ليعلم الاشارة. ثمّ لما وصل لقرب بيروت توصّ مدافع علامة الضيقة اذ كان بعد سائرًا وحينئذٍ استعدت اربعة قابورات للذهاب وحال وصوله اعلمهم ما كان. وبسرعة سافرت الخمسة قابورات الى صيدا. كالبرق اللامع واذ بلغوها ورأوا انهُ بعد ما صار شيء من الشرور حينئذٍ ركبوا هناك. ولكن لتحقيق الخطر وشدّة الخوف ما استطاعوا القناصل ورعيّة الافرنج الساكنين هناك ان يبقوا في المدينة. ولهذا انحدروا الى القابورات المذكورة وتبعهم جمع كبير من النصارى وجاؤوا كلهم لبيروت وبهذا النوع مُنعت الفتنة عن مدينة صيدا.

فمن قبل الاضطرابات المذكورة كثرت الناس في بيروت ووصل خبر فقرهم الى صاحب السعادة مالك الدولة المصريّة سعيد مشا وهو أمر خلاف عادة نظام (٣٤) بلاده انّ كل النصارى الاتيين من الجهات المذكورة يدخلون حدود حكمه بدون تذاكر الطريق وان تُعطى لهم اماكن للسكنى ويصير بهم الاعتناء اللازم. ولهذا السبب كثيرون الذين سافروا في القابورات مجاناً. ثمّ انهُ ارسل لبيروت احساناً وغيره ليوزعوا على اولئك الفقراء المساكين

(التتمة لعدد آخر)